مغنّية

لبشار بن برد

وذاتِ دلٍّ كأنَّ البدرَ صورتُها … باتت تغنّي عميدَ(١) القلبِ سكرانا:
(إنَّ العيونَ التي في طرفها حورٌ … قتلننا ثم لم يُحيينَ قتلانا)
فقلتُ أحسنتِ يا سؤلي ويا أملي … فأسمعيني جزاكِ اللهُ إحسانا:
(يا حبذا جبلُ الرَّيّانِ(٢) من جبلٍ … وحبذا ساكنُ الريّانِ من كانا)
قالت فهلّا فدتك النفسُ أحسنَ من … هذا لمن كان صبَّ القلبِ حيرانا:
(يا قومِ أُذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ … والأذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً … أضرمتِ في القلبِ والأحشاءِ نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطرباً هزَجاً(٣) … يزيدُ صبّاً محبّاً فيكِ أشجانا
يا ليتني كنتُ تفاحاً مفلّجةً(٤) … أو كنتُ من قضبِ الريحانِ ريحانا
حتى إذا وجدتْ ريحي فأعجبها … ونحن في خلوةٍ مثّلتِ إنسانا
فحرّكتْ عودَها ثم انثنتْ طرباً … تشدو به ثم لا تُخفيه كتمانا:
(أصبحتُ أطوعَ خلقِ اللهِ كلِّهم … لأكثرِ الخلقِ لي في الحبِّ عصيانا)
فقلتُ أطربتِنا يا زينَ مجلسنا … فهاتِ إنكِ بالإحسانِ أولانا
لو كنتُ أعلمُ أنَّ الحبَّ يقتلني … أعددتُ لي قبلَ أن ألقاكِ أكفانا
فغنّتِ الشَّربَ صوتاً مؤنقاً(١) رمَلاً … يُذكي السرورَ ويُبكي العينَ ألوانا
(لا يقتلُ اللهُ من دامتْ مودّتُه … واللهُ يقتلُ أهلَ الغدرِ أحيانا)

(١) عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد إذا هدّه العشق وكسره. (٢) الريان: جبل في ديار طيء لا يزال يسيل منه الماء، وهو في مواضع كثيرة منها. (٣) الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه. (٤) مفلّجة: مقسّمة، ويريد بذلك أنها إذا قُسمت كانت أسطع نفحاً وأضوع شذاً وطيباً.